منارات
manarat

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

www.almadasupplements.com

العدد (5898) السنة الثانية والعشرون - الأربعاء (30) نيسان 2025

البابا فرنسيس

البابا فرنسيس والشرق الأوسط: شغف قد لا يتكرر

داليا حيدر

في ساحة القديس بطرس في الفاتيكان، كان يسوع، الطفل الرضيع المنحوت من خشب الزيتون، مستلقياً على ظهره ملفوفا بالكوفية الفلسطينية. حول تمثال يسوع توزعت مجسمات خشبية مصنوعة من شجر الزيتون الفلسطيني أيضاً، ومن فوقها نجمة بيت لحم التي كتب عليها باللغة اللاتينية "المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام. وفي الناس المسرة." على طرف المشهد ظهر البابا فرنسيس على كرسي متحرك في حفل الكشف عن مشهد الميلاد التقليدي، ليرسل رسالته: "كفى حروبا، كفى عنفا!".

كان ذلك في الأسبوع الأول من كانون الأول/ ديسمبر العام الماضي. اللوحة الفنية التي صممها فلسطينيان بعنوان "ميلاد بيت لحم ٢٠٢٥"، كانت بمثابة تذكير بأولئك الذين "يعانون من مأساة الحرب في الأرض المقدسة وأجزاء أخرى من العالم"، بحسب ما صرح البابا فرنسيس.

المشهد أثار جدلاً حينها، بين مرحب ومنتقد. وهذا الجدل، برمزيته ربما يعكس الى حد كبير خصوصية الحقبة التي ترأس خلالها البابا فرنسيس الفاتيكان، الفترة التي "لن تتكرر"، بالنسبة لمحبيه. فبخلاف من سبقه، حافظ البابا فرنسيس على علاقة دافئة مع الدول العربية، لم تقتصر على مسيحيي المشرق بالتأكيد.

العلاقة المتميزة التي ربطت البابا فرنسيس بالشرق الأوسط لم تتمثل فقط بمواقفه الواضحة تجاه الصراعات في المنطقة، والتي يصفها البعض بأنها "جريئة"، بل لقد كان أيضاً أول بابا يزور دولاً في شبه الجزيرة العربية ويلتقي بقيادات من الطائفة الشيعية في العراق، إضافة الى توقيعه لاتفاقية "الأخوة" التاريخية مع شيخ الأزهر الشريف أحمد الطيب.

بالنسبة للقس نديم نصار، المدير التنفيذي لمؤسسة "وعي" الإنسانية الخيرية فإن البابا فرنسيس كان لديه "شغف بالشرق الأوسط – بيئة المسيحيين الأولى- واهتمام بمشاكله،" و كان على "وعي بأنه إن فرغ الشرق الأوسط من المسيحيين فستكون هذه كارثة لمسيحيي العالم" لأننا بذلك نفقد التواصل بين حقبة يسوع المسيح والقرن الواحد والعشرين، فمسيحيو الشرق هم همزة الوصل بين الاثنين."

كان البابا فرنسيس محط أنظار العالم الى جانب شيخ الأزهر الشريف أحمد الطيب عندما التقيا في الرابع من شباط/فبراير ٢٠١٩ في أبو ظبي بالإمارات للتوقيع على وثيقة "الأخوة" الإنسانية التي تهدف إلى تعزيز العلاقات الإنسانية، وبناء جسور التواصل والتآلف والمحبة بين الشعوب، إلى جانب التصدي للتطرف بسلبياته.

ويصف أنطوان قربان، الأستاذ في جامعة القديس يوسف، وجامعة القديس جورجيوس ببيروت، وثيقة "الأخوة" بأنها من "أهم وثائق العقد البشري"، وحجر الزاوية لدبلوماسية الفاتيكان التي يختصرها البابا بجملة "إما نحن أخوة أو أعداء... لا يوجد خيار ثالث".

وبحسب الأستاذ قربان، فإن الانفتاح على الأديان الأخرى لم يبدأ بحقبة البابا فرنسيس، وإنما يعود الى فترة الستينات عندما صدرت وثيقة "نوسترا أيتاتي"، ومعناها باللغة العربية "في عصرنا"، عن المجمع الفاتيكاني والتي تحدد علاقات الكنيسة الكاثوليكية مع الإسلام والأديان الأخرى. امتنعت الوثيقة عن تكفير الديانات الأخرى كما كان يحدث من قبل، بل وأجلت لها الاحترام. "هذه وثيقة أساسية لفهم سياسة حاضرة الفاتيكان أو الكرسي الرسولي"، يضيف قربان، متابعاً أنه بعدها فتحت أبواب الكنيسة الكاثوليكية على العالم، ما بدا أنه تحول استراتيجي بدأ مع البابا يوحنا بولس الثاني، وكأن حاضرة الفاتيكان والكرسي الرسولي يغيران استراتيجيتهما الدبلوماسية بشكل يقوم روما كسلطة روحانية طورت ذاتها لتصبح "العمود الفقري لدبلوماسية أخلاقية مبنية على اعتبار الإنسان أخا لكل إنسان."

المقاربة ذاتها، بحسب قربان، تكللت في عهد البابا فرنسيس في القاهرة في ٢٠١٧ عندما دعا شيخ الأزهر أحمد الطيب ومجلس حكماء المسلمين لعقد مؤتمر موسع يناقش المواطنة بحضور البابا فرنسيس، وكافة الكنائس.

فرنسيس "القديس الفقير"

ولد الكاردينال برغوليو (البابا فرنسيس لاحقا) في ١٧ كانون أول/ديسمبر عام ١٩٣٦ في العاصمة الأرجنتينية بوينس أيرس. وهو أول بابا من أمريكا اللاتينية و أول يسوعي في الوقت نفسه يصل إلى رأس الكنيسة الكاثوليكية. وبيرغوليو هو أول بابا يختار اسم فرنسيس، وذلك تكريما للقديس فرنسيس الأسيزي الذي تخلى عن ثروته من أجل مساعدة الفقراء.

نشأ البابا فرنسيس في الأرجنتين وتأثر بالأهوال التحرير الذي برز بصورة رئيسة في أمريكا اللاتينيّة في النصف الثاني من القرن العشرين، ويقوم على مبدأ أساسي يرى أن الإنجيل يفرض خيار الانحياز إلى الفقراء.

وبحسب نصار، كان البابا فرنسيس يتسم بـ"التواضع والتقشف والزهد،" فهو لم يجلس على كرسي مُذهبة أو يحمل صولجانات وتيجان من الذهب على حد تعبيره.

ويتابع أن البابا "عاش في شقة بجانب الفاتيكان، وكان لديه ثوبان فقط، ولم يرد أحد يلبس المجوهرات. هو متواضع بنشأته ورهبنته وطريقة حياته."

تزامنت حقبة البابا فرنسيس مع الكثير من التقلبات والنزاعات التي تعصف بالشرق الأوسط، إلا إنه تعامل معها بحساسية عالية. فبعد أيام قليلة فقط على سقوط حكم الأسد في سوريا ووصول الفصائل الإسلامية بقيادة "هيئة تحرير الشام" الى الحكم، صلى بابا الفاتيكان من أجل بلوغ حل سياسي في سوريا لتعزيز استقرار البلاد ووحدتها وخير شعبها، بحسب ما نقل موقع أخبار الفاتيكان حينها.

وأكد البابا فرنسيس في ختام مقابلته العامة مع المؤمنين متابعته بشكل يومي لما يحدث في سوريا، وصلاته كي يعيش الشعب السوري في سلام وأمن على "أرضه الحبيبة... في البلاد التي عانت من سنوات كثيرة من الحرب،" بحسب ذات المصدر.

وكرجل دين مسيحي سوري مهتم بحوار الأديان، يرى نصار أن البابا كان "سباقا ورائدا بهذا الموضوع، أكثر من أي بابا آخر في تاريخ الفاتيكان، وقدم الكثير للحوار."

التطورات الكبيرة في سوريا حدثت بعد أيام قليلة فقط من التوصل لإعلان وقف إطلاق النار في لبنان بعد أسابيع من الضربات العسكرية الإسرائيلية. وكان البابا فرنسيس قد أعرب أيضا عن حزنه إزاء ما يحدث في لبنان وقربه من الشعب اللبناني وصلاته من أجله، راجيا أن يبذل المجتمع الدولي كل الجهود الممكنة من أجل إيقاف هذا التصعيد الرهيب و غير المقبول، على حد وصفه.

تصريحات مشابهة أدلى بها البابا، قبيل عيد الميلاد في كانون الأول /ديسمبر الماضي عندما أدان غارة جوية إسرائيلية أسفرت عن مقتل سبعة أطفال من العائلة ذاتها في شمال قطاع غزة، ووصفها بال "قاسية".

وحرص البابا كزعيم للروم الكاثوليك البالغ عددهم ١,٤ مليار نسمة، على الحذر بشأن اتخاذ موقف متعلق بأي من الصراعات، لكنه كان أكثر صراحة بشأن الحملة العسكرية الإسرائيلية على غزة. ففي مقتطفات من كتاب نُشر في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي، دعا البابا إلى إجراء "دراسة متأنية" بشأن ما إذا كان الوضع في غزة "يتوافق مع التعريف التقني" للإبادة الجماعية، وهو اتهام ترفضه إسرائيل.

ويذكر أنطوان قربان في حديثة لـ "بي بي سي عربي" أن البابا "كان يتصل باستمرار ويشكل شخصي مباشرة بالمسؤولين عن الرعية المسيحية في غزة خلال الحرب الإسرائيلية." ويصف قربان البابا فرنسيس بأنه "رجل شجاع ولا يخاف من الحقيقة."

لم يقتصر اهتمام البابا فرنسيس على التطورات المتعلقة بالحروب الإسرائيلية مع دول الجوار، بل على مدار أكثر من عقد من ترأسه الفاتيكان أظهر الحبر الأعظم تعاطفه وتفاعله مع أحداث كثيرة في العالم العربي، واهتماماً عالياً بعد الجسور والحوار عبر عنه بمناسبات عديدة.

وكان البابا قد قام بزيارة تاريخية للعراق في مارس/ آذار ٢٠٢١ حيث ناقش وضع الأقلية المسيحية في البلاد، وأدان التطرف الديني. وجمعته قمة روحية بالسيستاني، المرجع الديني الأعلى للشيعة، الطائفة الدينية الأكبر في العراق، ليصبح أول بابا للفاتيكان يلتقي بمرجعية شيعية على هذا المستوى.

وبحسب قربان، كانت هناك طلبات ملحة لعقد اللقاء في النجف الأشرف لـ "إضفاء رمزية على الزيارة" و كرسالة مفادها أن الكنيسة لا تتصطف مع فئة معينة مسلمة ضد فئة بل "تحترم كل الرموزات المقدسة."

رحلة بابا الفاتيكان للعراق كانت واحدة فقط من عدة جولات قام بها إلى الشرق الأوسط، إذ زار مملكة البحرين في العام التالي للمشاركة في "منتدى البحرين للحوار". ومنذ توليه رئاسة الفاتيكان عام ٢٠١٣، زار الحبر الأعظم عدة دول عربية من بينها الإمارات في ٢٠١٩، حيث يعيش نحو مليون مسيحي من طائفة الروم الكاثوليك، معظمهم من الفلبين والهند. وكان بذلك أول بابا يزور شبه الجزيرة العربية.

وقبل ذلك، في نيسان/أبريل ٢٠١٧، التقى البابا فرنسيس بالبابا تواضروس، بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقصية في مصر، لمواساته في ضحايا تفجيرين استهدفا كنيستين في شمال مصر قبل أسابيع قليلة. أما زيارته الأولى للشرق الأوسط فكانت للأردن، بعد عام واحد من ترأسه الفاتيكان، في جولة شملت الأراضي الفلسطينية وإسرائيل.

وبحسب نصار، فإن البابا "كان واعيا بشكل أكبر بأهمية القضايا العربية وأحقيتها. فهو لم يأخذ طرفا، بل كان واعيا بمظلومية الناس في الشرق سواء من كان تحت سلطة الديكتاتوريات أو الدين الفاسد."

إلى أي مدى يمكن للبابا القادم أن يفهم تعقيدات العلاقات الدينية والسياسية في الشرق الأوسط؟

يرى قربان أنه "بالنسبة للعالم العربي هناك أهمية خاصة للمشرق العربي وبلاد الشام نقطة تلاقي الأديان ومهد الأديان،" مضيفاً أن البابا فرنسيس لم يكن "منحازا لا غربيا ولا شرقيا وإنما منحازا للإنسانية."

يتفق معه القس نصار الذي يعتبر أن وجود البابا بالحقبة الماضية كان "هدية" بالنسبة للمنطقة و"كأنه كان هناك مخطط إلهي كان يأتي شخص فيهمنا بهذا الوقت،" متابعاً أنه لم يسبق البابا فرنسيس "من قدر على فهمنا كمشرقيين بتعدديتنا وتنوعنا"، وأنه "ليس من السهل أن يتكرر".

عن / بي بي سي نيوز عربي

فرانسيس... "بابا الشعب" والمُصلح العظيم

عن نصرة المهمشين والالتزام بالسلام

كون كوخلين

توفي البابا فرانسيس عن عمر يناهز ٨٨ عاما، بعد أزمة صحية بدأت بالتهاب الشعب الهوائية وتطورت إلى التهاب رئوي مضاعف. وقد أحدثت وفاته حزنا في أوساط قرابة ١,٤ مليار كاثوليكي في جميع أنحاء العالم، مما أثار تساؤلات ملحة حول مستقبل الكنيسة الكاثوليكية وقيادتها. وقدم المكتب الصحافي للكرسي الرسولي في وقت سابق إحاطات مرتين يوميا عن حالة البابا قبل وفاته.

وطالما كان البابا فرانسيس مدافعا قويا عن السلام والمصالحة في الشرق الأوسط، مشددا على أهمية الحوار والتعاطف في معالجة النزاعات المعقدة التي تؤثر على المنطقة. وقد كان موقفه مؤثرا بشكل خاص فيما يتعلق بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني، حيث لم يتوانَ عن إدانة العنف والدفاع عن حقوق جميع الأفراد، بغض النظر عن عقيدتهم.

وفي نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٢٥، دعا البابا إلى إجراء تحقيق فيما إذا كانت الأعمال العسكرية الإسرائيلية في قطاع غزة ترقى إلى مستوى الإبادة الجماعية، مسلطا الضوء على الأزمة الإنسانية التي يواجهها الفلسطينيون. اتخذ البابا فرانسيس خطوات مهمة لتعزيز التسامح والتفاهم بين الأديان المختلفة. وقد أكدت زيارته إلى بيت لحم في عام ٢٠١٤، حيث صلى في زيارته الشهيرة عند جدار الفصل الإسرائيلي، رغبته في السلام وإنهاء المعاناة الناجمة عن الصراع.

علاوة على ذلك، وخلال زيارته لمصر عام ٢٠١٧، وقّع البابا مذكرة تفاهم مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب، مؤكدا على ضرورة الحوار والتعاون بين الأديان. كما زار العراق عام ٢٠٢١ في أول زيار بابوية للبلد، الذي مكث فيه أربعة أيام زار خلالها أربع محافظات مختلفة بالإضافة إلى إقليم كردستان العراق.

دعا البابا فرانسيس قبل وفاته إلى إجراء تحقيق فيما إذا كانت الأعمال العسكرية الإسرائيلية في قطاع غزة ترقى إلى مستوى الإبادة الجماعية، مسلطا الضوء على الأزمة الإنسانية التي يواجهها الفلسطينيون

وبينما تنعى الكنيسة الكاثوليكية فقدان البابا الـ٢٦٦، يتم اتخاذ الترتيبات اللازمة لإقامة قداس جنازته ودفنه في كاتدرائية القديس بطرس في روما. وفي الوقت نفسه، يتم اتخاذ خطوات للبدء في عملية اختيار خليفته، حيث تتجه أنظار المجتمع الكاثوليكي العالمي نحو القيادة المستقبلية للكنيسة.

المجمع البابوي هو اجتماع يعقده مجمع الكرادلة في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية لانتخاب بابا جديد عقب وفاة شاغل المنصب، في عملية ينعزل خلالها الكرادلة ويصوتون سرا حتى يُنتخب البابا الجديد.

وتقع على عاتق عميد مجمع الكرادلة مهمة إبلاغ الأعضاء بوفاة البابا والدعوة إلى عقد المجمع، ويتعين على الكرادلة الناخبين العودة إلى الفاتيكان في أسرع وقت، عادة في غضون أسبوعين، حيث يقيمون في دار القديسة مرتا.

وكما أبرز فيلم "كونكليف"، الذي نال استحسانا كبيرا مؤخرا، تبدأ العملية بتناشات مطوّلة بين الكرادلة حول الشخصية الأنسب لتولي هذا المنصب بالغ الأهمية. ورغم أن الشرط الرسمي الوحيد هو أن يكون البابا كاثوليكيا وذكرا، فإن البابا وات يُنتخبون منذ قرون من بين صفوف الكرادلة فقط، ولا يوجد حد أدنى أو أقصى للسن.

المجمع البابوي هو اجتماع يعقده مجمع الكرادلة في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية لانتخاب بابا جديد عقب وفاة شاغل المنصب، في عملية ينعزل خلالها الكرادلة ويصوتون سرا حتى يُنتخب البابا الجديد.

في اليوم الأول من المجمع، يقيم الكرادلة الناخبون القداس المخصص لانتخاب البابا في كاتدرائية القديس بطرس، ثم يتوجهون لاحقا إلى كنيسة بولين داخل الفاتيكان لاستدعاء الروح القدس وأداء القسم جماعيا وفرديا، وتُجرى عملية الانتخاب داخل كنيسة السيستين.

يؤدي الكرادلة الناخبون قسم السرية، وتُغلق الأبواب عليهم، ويُحتجزون داخل الفاتيكان حتى انتخاب بابا جديد. ويُمنعون من أي تواصل مع العالم الخارجي طوال فترة الانتخاب، فلا رسائل ولا صحف ولا إذاعة أو تلفاز. يصلّون ويتناقشون ويصوّتون سرا، ويتقدم كل منهم على حدة إلى جدارية مايكل أنجلو "يوم الحساب" في كنيسة السيستين، مردّدين صلاة، ثم يضعون بطاقاتهم السرية المطوية في كأس كبير. تُحصى نتائج كل اقتراع علنا ويدوّنها ثالثة كرادلة معيّنون.

ويشترط حصول المرشح على أغلبية ثلثي الأصوات ليُنتخب بابا، وقد تتطلب العملية عدة جولات تصويت تمتد لأيام حتى التوصل إلى قرار. وتُحرق أوراق الاقتراع بعد كل جولة، فإذا لم يُنتخب بابا بعد، يتصاعد الدخان الأسود من مدخنة الفاتيكان، مشيرا إلى استمرار المداولات.

يشترط حصول المرشح على أغلبية ثلثي الأصوات ليُنتخب بابا، وقد تتطلب العملية عدة جولات تصويت تمتد لأيام حتى التوصل إلى قرار. وتُحرق أوراق الاقتراع بعد كل جولة، فإذا لم يُنتخب بابا بعد، يتصاعد الدخان الأسود من مدخنة الفاتيكان، مشيرا إلى استمرار المداولات.

أما إذا حصل أحد الكرادلة على العدد المطلوب من الأصوات وقبل المنصب، فيتصاعد الدخان الأبيض من المدخنة، في إشارة إلى انتخاب بابا جديد. يختار البابا الجديد اسما بابويا ويرتدي الرداء الأبيض، ثم يُعلن من شرفة كاتدرائية القديس بطرس بكلمات "Habemus Papam" باللاتينية، أي "لدينا بابا"، ليطلّ بعدها ويمنح البركة للمؤمنين المتجمعين في ساحة القديس بطرس وللعالم أجمع.

وهذه الإجراءات مألوفة تماما للبابا الحالي، الذي تولى منصبه بعد الاستقالة المفاجئة لسلفه بندكت السادس عشر عام ٢٠١٣، والتي أرجعت لأسباب صحية.

وُلد خورخي ماريو برغوليو في ١٧ ديسمبر/كانون الأول ١٩٣٦ في بوينس أيرس، ورُسِّم كاهنا يسوعيا عام ١٩٦٩، ودرس في الأرجنتين وتشيلي وألمانيا. عُيّن كاردينالا لبوينس أيرس عام ١٩٩٨. وكان الكاردينال برغوليو شخصية غير مألوفة نسبيا عند اختياره لخلافة بندكت السادس عشر. وبعد انتخابه، اختار اسم فرانسيس تكريما للقديس فرانسيس الأسيزي، ليصبح أول بابا من أميركا اللاتينية وأول يسوعي يتولى قيادة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

وقد شكّل انتخابه مفاجأة لمن كانوا يتوقعون شخصية أصغر سنا، فقد كان يبلغ من العمر حينها ٧٦ عاما. ونال دعم المحافظين والإصلاحيين معا، إذ اعتُبر تقليديا في المسائل الجندرية، وليبراليا في القضايا الاجتماعية.

نال البابا فرانسيس إعجاب مؤيديه ببساطته وتصميمه على إصلاح دوائر الفاتيكان، ومكافحة الفساد في بنك الفاتيكان، والتعامل مع الإرث الثقيل لانتهاكات الاعتداء الجنسي على الأطفال داخل الكنيسة. وقد أطلق عليه بعض منتقديه لقب "البابا المتيقظ" لمواقفه التقدمية تجاه قضايا المهاجرين والبيئة والزواج المثلي.

وتسود الآن مخاوف لدى الأوساط المحافظة من أن فرانسيس حرص خلال فترة بابويته على ملء مجمع الكرادلة، الذي يضم ٢٥٢ عضوا، برجال يتقاسمون معه الرؤية ذاتها.

ومن بين هؤلاء، يحق فقط لـ١٣٨ كاردينالا المشاركة في التصويت لاختيار البابا المقبل، إذ تجاوز الآخرون سن الثمانين. ومن بين هؤلاء الـ١٣٨، عيّن البابا فرانسيس ١١٠ كاردينالات، أي ما يقارب ٨٠ في المئة.

ومن الأسماء البارزة المطروحة لخلافته: الكاردينال بيترو بارولين، أمين سر دولة الفاتيكان، والكاردينال بيتر توركسون من غانا، الذي ترأس المجلس البابوي للعدالة والسلام، والكاردينال لويس تاغلي، رئيس مجمع تبشير الشعوب منذ ديسمبر ٢٠١٩، وكان سابقا رئيس أساقفة مانيلا. وهناك مرشحون آخرون محتملون، مثل الكرادلة ماتيو تسوبي، وغيرهارد مولر، وأنجلو سكولا، وأنجلو باغناسكو، وريموند بورك، وروبرت سارة، ومالكوم رانجيث.

وتأتي احتمالية انتخاب بابا جديد في وقت حرج عالميا، مع عودة الرئيس دونالد ترمب، وتصاعد التيار اليميني المتطرف في أوروبا، واحتدام الجدل حول قضايا الهجرة.

ويشير عدد الكرادلة الذين عيّنهم فرانسيس إلى أنه إذا ما انقسم المجمع المقبل بين محافظين وتقدميين، فإن التقدميين سيتفوقون عددا بسهولة، ما يعني أن البابا الجديد سيواصل على الأرجح أولويات فرانسيس وإصلاحاته.

وقال أوستن إيفري، المقرب من البابا فرانسيس ومؤلف سيرته الذاتية "المصلح العظيم: فرانسيس وصناعة بابا راديكالي"، في مقابلة حديثة مع صحيفة "ديلي تلغراف": "من خلال تعييناته، يريد البابا أن يضمن عملية تُنتج بابا يلبي احتياجات الكنيسة في هذا الزمن". وأضاف: "يريد البابا من مجمع الكرادلة أن يواجه واقع العالم. لقد اختار أشخاصا سيحملون إلى النقاش بشأن البابا المقبل صوت المهاجرين، والفقراء، وضحايا الحروب".

• عن المجلة

أنوار البابا الطيب

هـــاشـــم صـالـح

لماذا نَنعته بـ"الطيب"؟ لأنه جعل من الانفتاح على الإسلام والمسلمين أحد المحاور الأساسية لعهدته البابوية. وقد لقيتْ مبادراته أصداء واسعة في كلا العالمين العربي والإسلامي. وربما كانت أجمل صورة سيحتفظ بها التاريخ عنه هي عندما رأيناه يوقّع في أبوظبي على وثيقة "الأخوة الإنسانية" مع شيخ الأزهر، الدكتور أحمد الطيب، بتاريخ ٤ فبراير (شباط) عام ٢٠١٩. عندئذ تعانق الإسلام والمسيحية لأول مرة على الأرض العربية من خلال هاتين الشخصيّتين الدينيّتين الكبيرتين. وهي الوثيقة التي تدعو إلى السلام العالمي والعيش المشترك بين الأمم. إنها تدعو إلى الحوار والتعاون والتفاهم بين مختلف الأديان والأقوام والشعوب. وهذا يمثل تطبيقاً حرفياً أو شبه حرفي للآية الكريمة التي تقول: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا..." (الحجرات الآية ١٣).

ولكن المصيبة هي أن التيار الآخر المتشدد الذي يجتاح العالمين العربي والإسلامي حالياً يرفض هذا الانفتاح والحوار والتعايش. إنه يراهن على الانغلاق والتعصب وإثارة النعرات الدينية والمذهبية وتهييجها إلى أقصى حدٍّ ممكن. فأي التيارين سوف ينتصر يا ترى؟ هل التيار الظلامي هو الذي سينتصر أم التيار الأنواري؟ هل المسلمون الحقيقيون هم الذين سينتصرون أم المتأسلمون المتاجرون بالدين كما يقول ممدوح المهيني في مقالة رائعة هنا في "الشرق الأوسط"؟ بناء على انتصار هذا التيار أو ذاك سوف يُحسم مصير العرب والمسلمين ككل. ليس لدينا أدنى شك في أن تيار الانفتاح والتقدم هو الذي سوف ينتصر في نهاية المطاف؛ لأنه يتماشى مع حركة التاريخ؛ ولأن العرب صناع حضارات كما برهنوا على ذلك في الماضي إبان العصور الذهبية. وليس لدينا أدنى شك في أن تيار التعصب والانغلاق سوف ينهزم؛ لأنه مضاد لحركة التاريخ. ولكن متى سيتحقق ذلك؟ المعركة لن تكون سهلة ميسورة، وإنما صعبة وضارية. هذا أقل ما يمكن أن يقال. قوى الماضي التي تشد إلى الخلف لا تزال حتى الآن أقوى من قوى المستقبل التي تشد إلى الأمام. القوى الظلامية الشعبوية الراسخة طيلة عصور الانحطاط لا تزال أقوى من القوى النهضوية التنويرية التي تبزغ أنوارها حالياً في شتى ربوع العالم العربي.

لتوضيح هذه النقطة أكثر، دعونا نَعُدْ إلى البابا ذاته وإلى تاريخ الأديان المقارنة. فعن طريق المقارنة تتوضح الأشياء. و"من لا يقارن لا يعرف" كما يقول المثل الصيني. لقد عبرَ البابا يوماً ما عن خطورة الحزازات المذهبية داخل المسيحية، عندما قال ما فحواه: "عندما كنت طفلاً صغيراً في بلادي، الأرجنتين، كانوا يقولون لنا إن البروتستانتيين جميعاً كفرة، سوف يذهبون إلى الجحيم. جميعهم عن بكرة أبيهم". كان ذلك في أربعينات القرن الماضي عندما كان البابا في التاسعة أو العاشرة من عمره. عندما يقول البابا هذا الكلام بعد أن كبر وبلغ من العلم والنضج مبلغه فإنه يكاد ينفجر بالضحك. ثم يضيف: كنا نعتقد اعتقاداً جازماً بأنه لا يمكن أن يدخل الجنة إلا الكاثوليك؛ لأنهم الفرقة الناجية الوحيدة في المسيحية.

وقد استطاعوا فرض هذه الفكرة لأنهم الأقوى والأكثر عدداً. نقول ذلك على الرغم من أن البروتستانتيين هم جماعة الإصلاح الديني. وبالتالي فهم الأكثر عقلانية وتطوراً في فهم الدين المسيحي، وهم الأكثر تحرراً من قوالب العصور الوسطى البالية والعقائد الدوغمائية المتحجرة. ولكنهم كانوا مغلوبين على أمرهم لأنهم أقلية، والحق دائماً مع الأكثرية. والأكثرية كانت تعدّهم زنادقة وكفاراً، بل ومرتدين عن الدين. ولذلك كانت تذبحهم وتُعمل المجازر فيهم على أساس طائفي محض. ولهذا السبب فروا من فرنسا بمئات الألوف هائمين على وجوههم. أما الآن فقد انتهت الحزازات المذهبية في أوروبا المستنيرة المتحضرة، وأصبحت من مخلفات التاريخ. ولم يعد الكاثوليكيون يكفّرون البروتستانتيين أو يحرمونهم من نعمة الله ودخول الجنة. فلماذا لا يتحقق ذلك يوماً ما بين المسلمين عندما يستنيرون ويتحضرون؟ لا شيء مستحيلاً في التاريخ. حركة التقدم والتطور سوف تفعل فعلها يوماً ما بعد أن يتثقف الشعب ويتعلم. ثم يضيف هذا البابا الطيب قائلاً: "نحن جميعاً ننتمي إلى الجنس البشري. نحن جميعاً من مسلمين ومسيحيين ويهود وبوذيين إلى آخره من مخلوقات الله، أو من عيال الله، كما يقول المفكر التونسي محمد الطالبي". فلماذا لا نؤمن بالوجدة من خلال التنوع والتعدد؟ لماذا لا نعدّ أنفسنا جميعاً إخوة في البشرية والإنسانية والأدمية؟ وهذا هو مضمون الوثيقة التاريخية الموقّعة في أبوظبي. الناس الطيبون الأخيار موجودون في كل الأديان والمذاهب. ولكن المشكلة هي أن الأصوليين الانغلاقيين يرفضون ذلك رفضاً قاطعاً. إنهم لا يقيمون وزناً لأي شخص إن لم يكن ينتمي إلى طائفتهم أو مذهبهم، أو حتى تنظيمهم الحزبي ومرشدهم الأعلى. نقول ذلك على الرغم من أن القرآن الكريم يقرُّ صراحة بالتنوع والتعددية. ألم يقل: "ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة"؟ ولكنه لم يشأ. هل الله عاجز عن جعل الناس كلهم على دين واحد؟ مستحيل، معاذ الله، الله قادر على كل شيء. ولكنه شاء التنوع والتعددية لحكمة تعلو على عقولنا وأفهامنا. وهذا يعني أن الفرقة الناجية كما يفهمها البابا هي تلك الفرقة التي تجمع كل الناس الطيبين الفاعلين للخير أياً كانت أديانهم ومذاهبهم. نقطة على السطر.

ثم يذكّرنا البابا فرنسيس بهذه الحكمة الجوهرية: ينبغي أن نتحاشى المغالطات التاريخية. بمعنى لا ينبغي أن نسقط مفاهيم الحاضر على الماضي. بمعنى آخر لا ينبغي أن نحاكم أناس الماضي المساكين المحدودين عقلياً على ضوء مقاييس الزمن الحاضر. في الماضي كنا متعصبين وطائفيين لأن عقلية ذلك الزمان ما كانت تستطيع أن تتصور وجود دين آخر صحيح غير الدين المسيحي، أو وجود مذهب واحد صحيح غير المذهب الكاثوليكي البابوي. لم يكن يخطر على بالهم إطلاقاً إمكانية التعايش مع الآخر المختلف ديناً ومذهباً. كيف يمكن أن تتعايش مع كافر؟ أعوذ بالله، معاذ الله. ولكن أوروبا تطورت وتقدمت وتجاوزت كل هذه الانغلاقات المذهبية والطائفية. لقد خلفتها وراء ظهرها بسنوات ضوئية. ثم يردف البابا قائلاً: "إن العالم الإسلامي، الذي لا يزال غاطساً جزئياً في ظلمات العصور الوسطى، سائر على طريق التقدم والاستنارة لا محالة. ولكن ينبغي أن نكون صبورين معه. فهذه الطفرة المعرفية والإيمانية ليس من السهل تحقيقها بين عشية وضحاها". وهذا ما يقوله ريجيس دوبريه أيضاً وكل عقلاء الغرب. الأصولية المتطرفة لن تنتصر في نهاية المطاف في العالم العربي، ولكنّ هزيمتها ليست بالأمر السهل، فالثورات العلمية والفلسفية والسياسية، بل وحتى الدينية، التي هضمتها الشعوب الأوروبية على مدار ثلاثة قرون، لا يمكن للشعوب العربية أن تهضمها على مدار ثلاثة عقود. يلزمنا وقت أطول. ثم إننا لا نهدف إلى استئصال الدين كما يزعم بعضهم. وإنما فقط إلى استئصال المفهوم الطائفي والظلامي والتكفيري للدين.

فرق كبير.

ثم يرى البابا أنه لكي يتمكّن العالم العربي من تجاوز الأصولية القروسطية المظلمة فإن عليه أن يقبل بتطبيق المناهج التاريخية والفلسفية الحديثة على نصوصه التراثية الكبرى مثلما فعلنا نحن مع الإنجيل والتوراة. فهذه هي الخطوة الأولى التي لا بد منها لتجاوز العقلية الانغلاقية والتفسيرات القديمة للدين. وهذا ما فعلناه نحن في أوروبا. ولولا ذلك لبقينا نذبح بعضنا بعضاً على أساس طائفي أو مذهبي حتى الآن. لا يمكن تجاوز الطائفية إلا عن طريق ثورة عقلية وفكرية حقيقية، خصوصاً فيما يتعلق بفهم الدين وتفسيره. هذا شيء مؤكد. وبالتالي فأمام المسلمين مهمة ضخمة ينبغي أن يحققوها في السنوات المقبلة. كان الله في عونهم.

هذا، وقد صرّح البابا في أثناء زيارته التاريخية الناجحة جداً للعراق عام ٢٠٢١ قائلاً: "شيئان متضادان لا يجتمعان بأي حال من الأحوال: الإيمان بالله من جهة، وارتكاب العنف والتفجيرات العشوائية من جهة أخرى. من يؤمن بالله لا يمكن أن يستبيح دماء الناس الآمنين. ولا يمكن أن يمارس أعمال التفجير والتكفير والترويع. كفانا عنفاً، كفانا تطرفاً، كفانا تعصباً. الرسالة موجهة للدواعش وكل الجماعات المتطرفة بطبيعة الحال".

أخيراً لقد كشف لنا البابا في مذكراته الأخيرة سراً دفيناً مهماً، وهو أنه تعرّض لعملية اغتيال حقيقية في أثناء وجوده على أرض العراق. ولكن الله نجاه منها بمعونة المخابرات البريطانية. وهي من أقوى المخابرات وأكثرها دقة وفاعلية في العالم. ففي أحد لقاءاته العامة خلال تلك الزيارة، كان هناك شخصان داعشيان مدججان بالقنابل ومستعدان لتفجير المكان كله بمَن فيه البابا وغير البابا. مجزرة حقيقية. ولكن المعلومة البريطانية الحاسمة وصلت قبل آخر لحظة لحسن الحظ، فتمكنت السلطات العراقية من القبض عليهما وتحييدهما. انظر بهذا الصدد مذكرات البابا الصادرة في الترجمة الفرنسية عن دار نشر "البان ميشال" قبل بضعة أسابيع، في ٤٠٠ صفحة بعنوان: "البابا فرنسيس مفعم بالأمل". السيرة الذاتية التي شكلت حدثاً تاريخياً في مجال النشر. ظهرت بشكل متزامن في أكثر من ١٠٠ بلد.

البابا فرنسيس والسلام مع الإسلام

رضـــوان الســيد

نبالغ نحن، عرباً ومسلمين، في اكتشاف الإيجابيات وتقديرها، كما في النعي على السلبيات. والإيجابي الذي نتحدث عنه هنا تصريحات لعرب ومسلمين بعد وفاة البابا فرنسيس أنّ السلام مع الإسلام كان أولويته العظمى! وكما أعرف من خلال المتابعة الحثيثة منذ عام ٢٠١٥ أنّ أولوية الكاردينال الأرجنتيني الذي تسنّم سدة البابوية عام ٢٠١٣ على أثر استقالة سلفه بنديكتوس، كانت الإصلاح الداخلي في الكنيسة. وربما كان تركيزه الثاني على العلائق بالفئات المهمشة في العالم. ولا شكّ أنّ اهتمامه بالإسلام جاء بالمنزلة الثالثة في نشاطاته المتكاثرة إيّان بابويته وربما قبل ذلك.

أقول إنه ربما فكر في العلاقات مع المسلمين إبان الولاية. فقد اتخذ لنفسه اسماً كسائر البابوات من قبل، وكانت أولُ الاستطراد أنّ البابا فرنسيس واعتبر السلام العالمي والسلام مع المسلمين بين أولوياته. واعتبر الأسيزي (١١٨٠ – ١٢٢٦) مؤسس رهبنة الفرنسيسكان هناك خطان كبيران في سيرته وحياته القصيرة: الاهتمام بالفقراء والجوعى والمرضى بالأوبئة، حيث انتشر البؤس في وسط أوروبا بسبب الطواعين – والخط الآخر اهتمامه بالسلام مع المسلمين وقد كانت الحروب بين الطرفين لا تزال مشتعلة منذ جاء فرسان أوروبا إلى المشرق قبل قرن ونيف. استشرف الأسيزي آمالاً بالسلام منذ عقد الملك الكامل الأيوبي (١١٨٠ – ١٢٣٨) ملك مصر هدنة مع الصليبيين وأعاد إليهم القدس بعد محاصرتهم لها! المهم جاء الأسيزي إلى القاهرة وقابل الملك الكامل ولا ندري ماذا كان موضوع المحادثات، لكنه أكرم في الاستقبال والمغادرة. والمؤرخون المسلمون لا يذكرون شيئاً عن زيارة الأسيزي، أما المؤرخون الصليبيون فيزعمون أنه ذهب يدعوه لاعتناق المسيحية بعد ملاحظة ميله للسلام (!). والواقع أن التاريخ ليس خبراً عن البشر وحسب كما يقول ابن خلدون، بل التاريخ هو أيضاً خيارات واختيارات وتأويلات، وخلال القرون اللاحقة انتصرت مقاربة السلام في رؤية رحلة الأسيزي إلى الكامل؛ إذ ألحقوه بعمه صلاح الدين الذي أثر السلام أيضاً.

لقد أطلتُ الاستطراد لأنّ البابا فرنسيس واعتبر السلام العالمي والسلام مع المسلمين بين أولوياته. واعتبر سيرة الأسيزي قدوة له في حرصه على زيارة دار الإسلام وطلبه للسلام. في خطبته الأولى بعد الانتخاب قال البابا فرنسيس إنّ السلام العالمي تحوط به أخطار كثيرة وكبيرة، ولا بد من صونه بكل سبيل؛ لأن الحرب شقاء ومعاناة وقتل للإنسان وتدمير للعمران، ولا بد من الالتفات إلى الشقاء بالحروب في ديار الإسلام، فلا سلام في العالم إلا بالسلام مع الإسلام والمسلمين. وتكررت نداءاته للسلام العالمي والسلام مع الإسلام في خطاباته السنوية. وقد زار خلال بابويته سبعة بلدان عربية وإسلامية. وفي كل رحلة كانت هناك الإشادة بالحوار وبالتعاون ومبادرات تقتضيها الرحمة الإلهية التي يقول بها المسيحيون والمسلمون باعتبارها مناط علاقة الله عز وجل ببني البشر. بيد أنّ ذروة رحلاته ومبادراته في نطاق الصداقة والتضامن والزمالة الدينية كانت في زيارته لأبوظبي وإعلانه عن وثيقة الأخوة الإنسانية مع شيخ الأزهر أحمد الطيب في ٤ فبراير (شباط) ٢٠١٩.

تتألف الوثيقة من مقدمة مبدئية في الإيمان والرحمة الإلهية التي تغمر سائرَ البشر ممن آمنهم الله عليهم بالإيمان، ومن يحوطهم عز وجل بعنايته أياً كانت قناعاتهم. ثم بعد ذلك ترسم الوثيقة جدولاً طويلاً للمشكلات الإنسانية عامة وتدعو القادة العالميين والقادة الدينيين لمقاربتها بالنزوع القيمي والأخلاقي الكبير. وتجد الوثيقة أن الحوار الديني والأخلاقي والإنساني ينبغي أن يتكثف ويتجاوز كل الصعوبات، ويصير بالتعارف والاعتراف سبيلاً لخير الإنسانية وسلامها.

ذكر لنا يوأنّس الكاهن المصري الأصل الذي كان وقت توقيع الوثيقة سكرتيراً للبابا فرنسيس أنّ الوثيقة اقتضت شجاعةً ونزاهةً من الطرفين. ومما له دلالته أن يكون مبدأ الأخوة (الذي يعتنقه المسلمون) هو عنوان الوثيقة وخاتمتها.

في رسائل البابا فرنسيس السنوية ظل يعود لوثيقة الأخوة ذكراً واقتباساً، ويقرن ذلك بقيم الجوار والضيافة التي ينبغي أن تسود في العلاقة بالمهاجرين. وعندما زار مخيمات لاجئي الروهينغا في بنغلادش على الحدود مع ميانمار التي فروا منها؛ قال إنّ إنكار الأخوة بين البشر هو تنكرٌ لإنسانية الإنسان!

كان آخر كلام البابا فرنسيس قبل وفاته بساعات الدعوة لإنهاء الحربين في أوكرانيا وفلسطين. وربما كرر ذلك على مسامع نائب الرئيس الأميركي الذي تحدث إليه أيضاً.

كان البابا فرنسيس – بحسب شيخ الأزهر والملك المغربي – هو رجل الدين المسيحي الأكثر حساسية تجاه آلام المسلمين ومشكلاتهم منذ مجمع الفاتيكان الثاني. والأمل أن تبقى مواريثه في الكنيسة العريقة.

عن الشرق الاوسط

ذكرى العظماء تبقى للأبد.. وداعاً البابا فرنسيس

لـــويـــس إقـلـيـمـس

للبابا فرنسيس مواقف إنسانية كثيرة وآراء إصلاحية في مواجهة تحديات كبيرة ومتعددة سواءً في دهاليز الدوائر الفاتيكانية أو في كنائس تابعة للكرسي الرسولي في جميع انحاء الكرة الأرضية. ولعلّ ما اتسمّ به عهدُه الحبري، تأكيده ورعايته لأشكال الحوار بين زعامات الأديان والمذاهب والرئاسات الدنيوية ودعوته لعدم الخروج عن دارة الإنسانية والأخُوّة التي وضعَ البابا الراحل أسسَها ووقّعها بأحرف من نور مع شيخ الأزهر "أحمد الطيّب" في "وثيقةُ الأخُوّة الإنسانية من أجل السلام العالميّ والعيش المشترك يوم ٤ شباط ٢٠١٩ في ابو ظبي. وبهذه الوثيقة يكون البابا الراحل "فرنسيس"، قد حوّل المسيحيةَ إلى ايقونة تفتخرُ بها شعوب الأرض بعد أن فتحت الأبواب أمام زعامات الأديان والأمم والشعوب للاقتداء بهاتين الشخصيتين العالميتين اللتين أرستا أسس الحوار والتفاهم بين الشعوب والأديان والأمم. وقد أكملها فيما بعد بلقائه التاريخي مع المرجع الشيعي العراقي السيد "علي السستاني" في آذار ٢٠٢١، تأكيدًا لنهجه في مصالحة ومصارحة الكل من أجل ربح الكلّ إلى وليمة الرب الإله خالق السماء والأرض والعناصر وما فيها وما عليها من بشر من أحبابه ومن حجر وماء من بركاته. وبهذه الوثيقة التاريخية دعا شعوب العالم أجمع وزعامات الحكومات والدول إلى ترسيخ مبادئ الإنسانية والتفاهم والسلام وحثهم جميعًا على إنهاء أشكال الصراع والقتال بسبب المادة والنفوذ والسلطة وكذا بسبب الاختلاف في الفكر والرأي والدين والمذهب والعرق واللون. وتأكيدًا على هذا النهج الإنساني العراقي، يرى الكثيرون أنّ البابا فرنسيس الذي كسبَ شعبيتَه من آرائه وأفكاره الجريئة الواضحة، قد جعلَ من المسيحية آيةً عالمية بسبب مواقفه التصحيحية الإصلاحية وخطواته الإنسانية وإجراءاته الكنسية المنفتحة على العالم المعاصر. إزاء كل الآراء التي أجمعت على عظمة هذه الشخصية العالمية والروحية والإنسانية التي أسرتْ وشغلتْ ألبابَ قادة روحيين مهمّين وساسة وزعماء دول لم يتوانى طيلة حياته في انتقادهم وفي اعتراضه الصارخ على ظلمهم وتقصيرهم ضدّ شعوبهم بفعل فسادهم والإيغال في شرورهم ولصوصيتهم ونهبِ أموال وثروات شعوبهم وبلدانهم، قد يطلعُ نفرٌ ضالٌ يسعى لخرق ونسف كل قواعد الإنسانية والطيبة والمحبة والتواضع والفقر والزهد التي حملها وعاشها البابا "فرنسيس" طيلة فترة حبريته، بل وما قبلها. فمن المشين أن يختلف نفرٌ شاذٌ من شيوخ وأمراء الفتن ونحن في الألفية الثالثة بما فيها من تطوّر وتقدّم وانفتاح فكري وإيماني ولاهوتي ومجتمعي وعلمي، وغيرهم ممّن أعماهم الحقد والكراهية والتطرّف في مسألة جواز الترحم عليه أم لا، رغم أنّ العالم بأسره قد بكاه وتأسّفت شعوبٌ لفراقه ونعتته حكومات ودول ومنظمات ونكست أعلام ودُقّت أجراس حزنًا على رحيله الأبدي. أمّا الموت، فهو سنّة الحياة لجميع خلق الله.

فكيف يقبل بأشكال هذا الشذوذ البشري مَن شهدَ له بالإنسانية والرحمة والرأفة من جموع المظلومين والتائهين والمطرودين والشاردين من بلدانهم وزعاماتهم ولا يخجل من نفسه.

ولعلّ من دواعي فخر العالم المعاصر، تلك الصرخات المتكرّرة القاسية بوجه الظلم والتنديد بأدوات القتل ووسائل التهجير المتعمدة التي تسببت باشتداد الحروب وقيام الفتن في مناطق عديدة من العالم، ومنها نداءاته المتكرّرة ضدّ ما تعرّضَ له شعبُ فلسطين في أرضه ووطنه وفي غزّة بالذات، وما اكتوى به الشعبان الروسيّ والأوكراني بسبب عناد زعامات البلدين ووقوف بلدان متفرجة ومحرّضة مع أو ضدّ هذا البلد أو ذاك في تأجيج مقيت للحرب الضروس بين الطرفين.

محطة العراق، دار استراحة

في العراق كانت اللهفة كبيرة يوم زيارته التاريخية المبمونة للفترة من ٥-٨ آذار ٢٠٢١، لأسباب تختلف في الأمنيات والأهداف والنتائج. فرحت به كنيسةُ العراق بمجملها لكونها كنيسة متألمة وصابرة كانت بحاجة ماسّة إلى لمسات عطف وتشجيع وحثّ للتشبّث بأرض الآباء والأجداد. كان أتباع كنيسة العراق بحاجة لهذا الترياق الضروري في هذه الحقبة الزمنية بالذات بعد تواتر مسيرات الهجرة إلى دول الاغتراب وتحديدًا لاتساعها أملاً بإكمال مسيرة أولئك الجبابرة الطيبين من محبّي الأرض والوطن والكنيسة الصامدة عبر الأزمنة والأوقات بالرغم من كلّ الظروف القاسية، ولاسيّما ما عانته مناطقهم التقليدية في سهل نينوى من ملابسات التخلّي عنهم وعن وجودهم باستقدام الجماعات الإرهابية التي تفنّنت بتهجيرهم ومحاولة قلعهم من جذورهم ومناطق سكناهم ومن كنائسهم بفعل فاعل. وكان لافتًا للنظر تعلق جماعات عديدة من الشعب العراقي من غير المسيحيين أيضًا وملاحظة زيادة لهفتهم للقائه أو لسماع ومشاهدة تفاصيل لقاءاته مع مختلف رعايا وكنائس ورجال دين وسياسة مسيحيين ومسلمين ومن طوائف أخرى تشكّل أصالة الشعب العراقي المتعايش تاريخيًا وحضاريًا واجتماعيًا. حيّاه عموم الشعب، حتى مَن لم يكن يعرفه قد أحبّه وتمنى تجدّد زيارته، ربما لا محبةً به بل أملاً في خدمات واهتمام أفضل هنا وهناك، وفي إصلاح وإعمار مناطق سكناهم وتعبيد شوارع وطرق يسلكها موكبُه السلطاني، وهو الضيف الكبير لعراق الحضارة والأصالة والتعايش السلمي منذ الأزل.

حقًا، سجلت زيارتُه التاريخية إلى العراق مسارًا روحيًا وإنسانيًا ومحطة تقييم وتقويم للمسيحية والإنسانية في هذا البلد، بعد الذي جرى من انتهاكات وأعمال عنف بشعة وتهميش وتهديد وقتل بحق المسيحيين لغاية تهجيرهم في ٢٠١٤م على أيدي جماعات إرهابية متشدّدة وبتواطؤ مقيت مع كيانات وجماعات وزعامات أحزاب طائفية حاكمة وبوسائل ممنهجة بغية ترهيبهم وحملهم مرغمين على ترك أرض الاباء والأجداد لصالح دول وأطراف استغلالية منتفعة من تلك الفعلة الهمجية الشرسة. فيما أضفتْ زيارتُه التاريخية لمدينة "أور" مسقط رأس سيدنا "إبراهيم الخليل" وترؤسه الصلاة على أرضها أنهارًا صافية وثمارًا حسنة بين أبناء الوطن الواحد من أجل رفعة الإنسان والإنسانية. ولم ينسى الموصل، المدينة الجريحة المثالة متمثلة بزيارة حوش البيعة وما تشكله هذه الالتفاتة الأبوية لكنائسها التي تدنّست بفعل الإجرام الداعشي. وجاءت اللحظات الحاسمة الحارة عندما استقبلته حشود بلدة بغديدا/ قرقوش في سهل نينوى عن بكرة أبيها، حيث يوجد أكبر تجمّع لمسيحيي المدينة النينوية والعراق قاطبة، مختتمًا الزيارة بعدها على أرض كردستان، الواحة الخضراء الهادئة والأرض المضيافة لكل مَن ضاقت بهم السبل وقلّ بهم الأمان ضمانًا لحياة أفضل، فيتفيّأ بها كلّ مَن يشعر بضيق النفس والجسد والفكر والتعبير. وكم كانت فرحتي كبيرة على صعيد شخصيّ يوم سلّمته رسالة وطنية خاصة في مستهلّ زيارته إلى كاتدرائية سيدة النجاة للسريان الكاثوليك في بغداد، سردتُ فيها ما جاشَ في بواطني من ألم وحسرة على حال العراق. وقد استلمتْ ردًا لها بتوقيع أمين سرّ دولة الفاتيكان، الكاردينال "بييترو بارولين"، المرشح الأوفر لخلافة البابا فرنسيس، والذي أعلمني فيها أنّ قداسته على دراية تامة ومعرفة وافية بكل ما جرى ويجري في العراق!

غادرنا البابا فرنسيس تاركًا فينا رسالة سلام ومحبة وأمل ورجاء في سنة الرجاء التي أعلنها. فهو كان بحق صوتًا نابضًا للحق والعدالة والسلام والرجاء والتسامح والمحبة والتواضع. رحم الله الحبر الأعظم البابا "فرنسيس" وهو في أيدي الآب السماوي. فذكراهُ تدومُ للأبد لأنه من العظماء!

البابا فرنسيس.. رحيل صديق للعرب والمسلمين

إمـــيـــل أمـــيـــن

كان عام ٢٠١٣ عاماً مغايراً في الفاتيكان، إذ سيُقدَّر للرجل ذي الرداء الأبيض أن يصبح الأكثر ترحيباً والأعظم تقديراً في العالمين العربي والإسلامي، ربما لتواضعه وسعيه الخلّاق لإقامة الجسور بين البشر، والعمل من ثَمّ على إزالة الحواجز من الطرقات بين الجانبين.

ربما كانت بساطة البابا فرنسيس وتواضعه، منذ اللحظات الأولى لإعلان حبريته، طريقه لا لقلوب الأوروبيين فقط بل للشرق أوسطيين كذلك، وبدا كأن هناك صحوة في أوروبا ترفض العقلانية الجافة المسطّحة التي تستبعد الدين كلياً من الحياة، بحجة أنه ظلاميات. وفي الشرق استيقظ العالم الإسلامي على حتمية مجابهة الأصوليات القاتلة ومواجهتها، تلك التي تكفّر الآخرين، وتدعو إلى ذبحهم جهاراً نهاراً.

وجد العالم الإسلامي في الاسم الذي اختاره البابا رمزاً ودلالة لرجل سلام؛ فقد اختار الاسم تيمناً بسميه فرنسيس الأسيزي الذي كتب العالم الإسلامي اسمه بحروف من نور؛ ذلك لأنه كان صرخة مسيحية حقيقية في وجه الحروب الصليبية، وقُدّر له أن يرفضها في زيارته لمصر في يونيو (حزيران) ١٢١٩، حين التقى السلطان الكامل، ابن الملك العادل الأيوبي، الذي قرّبه إليه فأقام عنده أياماً غير قليلة، وجرت بينهما حوارات كثيرة؛ وبذلك كان فرنسيس الأسيزي أول مَن أسّس للحوار الإسلامي المسيحي قبل ٨ قرون.

فهم العالم الإسلامي، لا سيما أكاديميه ومثقفيه، من دون أدنى شك، الرسالة من وراء الاسم؛ وفي اللقاء الأول له مع الدبلوماسيين الأجانب المعتمدين لدى حاضرة الفاتيكان، كشف الحبر الروماني عن رغبته في تكثيف الحوار مع المسلمين من أجل بناء جسور معهم، متعهداً بدعم العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية وباقي الأديان الأخرى، لا سيما الإسلام.

في ذلك اللقاء تحدّث البابا بالقول: "من المهم تكثيف الوصول إلى معتنقي الأديان الأخرى؛ لكي لا تسود الخلافات التي تضرنا، بل تسود الرغبة في بناء علاقات حقيقية من الصداقة بين جميع الشعوب مع تباينهم، لا سيما أنه من غير الممكن إقامة علاقات حقيقية مع الله تعالى في ظل تجاهل الآخرين، ومن ثَمّ – على حد تعبير البابا – هناك ضرورة ملحّة لتكثيف الحوار بين مختلف أتباع الأديان، وبالأخص إجراء حوار مع الإسلام والمسلمين".

استهل البابا فرنسيس رسالته التصالحية مع العالم الإسلامي برسالة وجهها للمسلمين في كل أنحاء العالم في مناسبة عيد الفطر عام ٢٠١٤، في شهر يوليو (تموز) تحديداً. والشاهد أن العرف قد جرى من قبل بأن يوجّه "المجلس البابوي للحوار بين الأديان" التهاني بالعيد، مرفقة بدعوة إلى النظر معاً في موضوع معيّن؛ غير أن البابا فرنسيس في السنة الأولى من حبريته قرّر أن يوقع بنفسه تلك الرسالة، ويوجّهها إلى مَن وصفهم بـ"الأصدقاء الأعزّاء".

قال البابا للعالم الإسلامي في مستهل تهنئته بعيد الفطر: "كما تعلمون جميعكم، عندما انتخبني مجمع الكرادلة أسقفاً لروما، وراعياً للكنيسة الكاثوليكية بأسرها، اخترت اسم فرنسيس، وهو قديس مشهور أحبّ الله، وكل إنسان في خلق الله، إلى حد أنه دُعي بـ(أخي الجميع)، أحبّ وساعد وخدم المحتاجين والمرضى والفقراء، واهتمّ بالخليقة كلها".

ويضيف: "أعي جيداً أن العائلة والأبعاد الاجتماعية تكتسب أهمية خاصة بالنسبة للمسلمين خلال هذه الفترة. والجدير بالذكر أن هناك أوجه شبه في كل هذه المجالات مع الإيمان المسيحي وممارسته". حملت رسالة البابا فرنسيس للعالم الإسلامي دعوة للعودة إلى الاحترام المتبادل في العلاقات بين المؤمنين، لا سيما بين المسيحيين والمسلمين؛ إذ يقول: "نحن مدعوون لاحترام ديانة الآخر، وتعاليمها ورمزها وقيمها، ويتوجب كذلك احترام خاص للقادة الدينيين ولأماكن العبادة، كم هي مؤلمة الاعتداءات التي يتعرضون لها".

طالب البابا في رسالته، فيما يخص تربية الشباب المسلمين والمسيحيين، بأن يكون التفكير والتكلم بالاحترام عن الديانات الأخرى وأتباعها هما المقياس، والدرب، والطريق، مع البُعد عن كل استخفاف أو إساءة لعقائدهم وممارساتهم. أحب المسلمون البابا فرنسيس، حيث رأوا في نظرته للدين حديثاً وحواراً لشراكة حقيقية، وليس شعارات جوفاء.

فقد أشار مراراً إلى أن "الدين هو ضرورة في الإنسان لكي يحقق هدفه، وهو بوصلة توجّهه نحو الخير وتبعده عن الشر، وعلى الأديان – من خلال مساعدة الإنسان على تمييز الخير – أن تحمل الإنسان نحو ممارسة الخير، نحو عيش الصلاة والجهاد الداخلي، نحو بناء حضارة اللقاء والسلام"، ودائماً ما كان البابا فرنسيس يشدّد على أنه "لا يجب أبداً أن تُستغل الأديان لتعميم الصراعات والخلافات؛ لأنه لا يمكننا أن نتضرع إلى الله لمصالح أنانية، ولا نستطيع أن نسوّغ لاهوتياً الإرهاب، والإمبريالية، والاستعمال، وإنما المطلوب أن نعبد اسم الله ولا ندنسه ونتاجر به في الكره والخلافات البشرية".

• عن الشرق الأوسط

manarat

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
غادة العاملي
رفعة عبد الرزاق

منارات
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

البابا فرنسيس: آخر المُصلحين الفقراء..

محمد السماك

اعتلى البابا فرنسيس السدّة البابوية راهباً "جزويتيّاً" مترفّعاً عن متاع الدنيا. احتفظ بملابسه الكهنوتية المخصّصة للكاردينالية، ورفض استخدام الملابس الخاصّة بالبابا. ورفض الإقامة في البيت المخصّص له، وأصرّ على الإقامة في الغرفة التي كان يقيم فيها في مبنى "سانتا مرتا" داخل الفاتيكان. وهو المبنى المخصّص لإقامة الكرادلة لدى انعقاد مؤتمراتهم، أو لضيوف الفاتيكان الأجانب. وقد سبق لي أن أقمتُ فيه شخصيّاً أكثر من مرّة، والتقيتُ بالبابا فرنسيس في المطعم الخاصّ داخل هذا المبنى.

فوجئ البابا فرنسيس مرّة وهو يدخل مبنى "سانتا مرتا" بوجود رجل أمن من الحرس السويسري أمام المدخل. فالبابا يعرف أنّه ليس من مهامّ الحرس السويسري، الذي يتولى الأمن الداخلي في الفاتيكان، حراسة هذا المبنى تحديداً.

سأل البابا الجنديّ الحارس: ماذا تفعل هنا؟ أجابه: حماية البابا. قال له: لا أحتاج هنا إلى الحماية، تستطيع أن تعود إلى مقرّك. ردّ الجندي: أنا هنا أنفّذ تعليمات عسكرية، وألتزمها.

ابتسم البابا ودخل "سانتا مرتا"، حيث طلب من العاملين في المطعم تزويده سندويشاً من الجبن واللحم وكوباً من عصير الليمون، ثمّ حملهما وعاد بهما إلى الجنديّ الحارس. وكان الوقت وقت غداء. لكنّ الجنديّ قال للبابا فرنسيس: أعتذر سيّدي، فأنا لا أتناول الطعام والشراب أثناء الخدمة.

إجراءات غير مسبوقة

بهذه الخلفيّة الأخلاقية السامية، تولّى البابا فرنسيس المسؤولية في دولة الفاتيكان. لم تكن إدارة الدولة في ذلك الوقت في حالة حسنة. كان الفساد يعصف في بعض أركانها، وخاصّة في الركن المالي.

بموجب التنظيم الإداري، تشرف "سلطة المعلومات الماليّة" على بنك الفاتيكان، وعلى إدارة عقارات الفاتيكان في روما (خارج الأسوار)، وعلى بنك الفاتيكان وإدارته، وتشرف أيضاً على صيدليّة الفاتيكان.

كان يتولّى هذه السلطة خمسة أعضاء إيطاليّين، تنتهي مهمّتهم في عام ٢٠٢٦، لكنّ البابا طلب منهم الاستقالة الفوريّة، واستبدلهم بشخصيّات اختارها بنفسه، كان منهم يوفارا فيلاي، الذي أشرف على تطوير اقتصاد سنغافورة، وجوان زارات، الذي كان مستشاراً ماليّاً للرئيس الأميركي الأسبق جورج بوش.

اتّخذ البابا هذه الإجراءات غير المسبوقة بعد صراع طويل بين هذه المجموعة من الحرس القديم والمراقب المالي العامّ السويسري رينيه برولارت، وهو خبير دولي في مكافحة التهريب وتبييض العملات. وكان بنك الفاتيكان، الذي يحتفظ بودائع تبلغ قيمتها ٨ مليارات دولار، تحت إشراف "الحرس القديم"، الذي ارتسمت علامات استفهام كبيرة حول معظم أفراده.

إلى ذلك اعتُقل المونسنيور ناتيو سكاراتو الذي عمل لمدّة ٢٢ عاماً في الإدارة الماليّة للفاتيكان (تسديد الرواتب والنفقات وجمع الإيجارات والتبرّعات)، ووُجّهت إليه تهمة الفساد وتبييض الأموال. وكان يُدعى "مونسنيور الخمسمئة"، نظراً لأنّه كان يحمل دائماً أوراق الـ٥٠٠ يورو لشراء الكماليّات من أسواق روما. وكان يملك ثروة من اللوحات الفنّية النادرة. وقد اتّهمته السلطات الإيطالية بتهريب الأموال إلى سويسرا، حيث أوقف بالجرم المشهود.

كان البابا فرنسيس قد واجه مشكلة مماثلة عندما كان رئيس أساقفة الأرجنتين. فقد اكتشف أنّ خلَفه الكاردينال أنطونيو غراتسيو تورّط مع عائلة أرجنتينية تملك أحد أكبر البنوك المحلية كانت تسدّد نفقات بطاقاته الائتمانية مقابل سكوته عن استثمارات وودائع الكنيسة لدى البنك.

هكذا خرج من الأرجنتين كاردينالاً نظيف الكفّ ليمارس دوره في السدّة البابويّة نظيف الكفّ أيضاً.

لم يكن التنظيف في الفاتيكان سهلاً. فقد تناول حتّى مرجعاً برتبة كاردينال مثل تارسيسيو بيرتون، الذي اتُّهم باستخدام ٢٠ مليون دولار من خزينة بنك الفاتيكان لتمويل إنتاج فيلم لأحد أصدقائه.. وكان الفيلم فاشلاً.

قضايا حسّاسة

نجح البابا فرنسيس بما يتمتّع به من روحانيّة عالية ومن ترفّع عن الماديّات في استعادة الدور الروحيّ للفاتيكان والبابا في الدرجة الأولى. ومن هنا كانت إطلالاته الانفتاحية على أهل الكنائس الأخرى (الإنجيليّة والأرثوذكسيّة)، وانفتاحه على الإسلام (زيارة الأزهر في القاهرة والنجف في بغداد)، وإعلان التضامن والتعاطف مع مسلمي الروهنغا وزيارتهم في بنغلادش، والتوقيع المشترك مع إمام الأزهر الشيخ أحمد الطيّب على وثيقة الأخوّة الإنسانية في أبوظبي.

ربّما أكثر القضايا حساسيّة التي واجهها البابا هي تلك التي تتعلّق بدور المرأة في الكنيسة، وبموقف الكنيسة من الشذوذ الجنسي.

الرئيس الأميركي السابق جو بايدن مثلاً (وهو كاثوليكي) جرؤ على الدفاع عن حقوق المثليّين، ولذلك عندما دخل الكنيسة يوم الأحد للصلاة، مُنع من تناول "القربانة المقدّسة"، وهي قطعة صغيرة من الخبز تمثّل جسد المسيح بعد اكتمال الصلاة في الكنيسة. ولكنّ البابا فرنسيس قال في هذا الشأن عبارته المشهورة: "من أنا حتّى أعرف ما في قلبه؟". كان البابا فرنسيس يردّد دائماً أنّه يريد كنيسة فقيرة لخدمة الفقراء. وقد عاش حياته الكهنوتية في "بوينس أيريس" ثمّ حياته البابوية في روما فقيراً في خدمة الفقراء.

تسجّل الدراسات الإحصائيّة أنّ عدد المتردّدين من المسيحيين على الكنائس الكاثوليكية تضاعف بعد مرور وقف قصير من تبوُّئه السدّة البابوية، بما في ذلك في الولايات المتحدة.

لم يخدم البابا فرنسيس الكنيسة الكاثوليكية فقط، بل وخدم المسيحية ككلّ بشكل خاصّ، وخدم الإيمان بالله بشكل عامّ كما لم يستطع أن يفعل أيّ بابا آخر (سوى البابا يوحنّا بولس الثاني).

عاش البابا فرنسيس مؤمناً متبتّلاً حتّى اللحظة الأخيرة، ومارس حبريّته على رأس الكنيسة مصلحاً جريئاً حتّى اللحظة الأخيرة أيضاً.. فهل تبادر كنيسته إلى تكريسه قدّيساً؟.

• عن موقع اساس الالكتروني